

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

فَبَيْنَمَا يُمَكِّنُ أَخْذَ الْإِجَارَةِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَالْجَامِعَةِ وَالْعَمَلِ وَيُمَكِّنُ تَعْطِيلُ ذَلِكَ كُلِّهِ، لَا يُمَكِّنُ الْبَتَّةَ أَنْ تُعْطَلَ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ وَأَنْ تُؤْخَذَ إِجَارَةٌ مِنْهَا، فَهِيَ شَامِلَةٌ لِكُلِّ نَوَاحِي حَيَاتِنَا وَدَائِمَةٌ بِلا انْقِطَاعٍ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»³.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ الْأَسْفَارَ وَالرَّحَلَاتِ تُدَكِّرُنَا بِحَقِيقَةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. فَكَمَا يَكُونُ السَّفَرُ لِفَتْرَةٍ مَحْدُودَةٍ بَعْرَضِ الْوُصُولِ إِلَى مَكَانٍ مَا، كَذَلِكَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنْ سَفَرٍ وَرِحْلَةٍ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى الدَّائِمَةِ. وَإِذَا كُنَّا لَا نَعُدُّ السَّفَرَ ذَاتَهُ مَقْصِدًا لَنَا وَغَايَةً، فَأُخْرَى أَلَّا نَنْظُرَ إِلَى حَيَاتِنَا هَذِهِ عَلَى أَنَّهَا غَايَتُنَا وَمَقْصِدُنَا. رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"⁴.



إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

نُذَكِّرُكُمْ بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ بِأَنَّ حَمَلَةَ الْأَضْحَايِ لِجَمْعِيَّةِ حَسَنَةِ الْخَيْرِيَّةِ لَا تَزَالُ نُورَ الْأَمَلِ لِلْمُظْلَمِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ فِي 100 (مِئَةِ) دَوْلَةٍ. وَإِنَّ بِإِمْكَانِكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي هَذِهِ الْحَمَلَةِ فِي أَيَّامِهَا الْأَخِيرَةِ بِتَبْرُعِ قِيمَةِ أَضْحِيَّةٍ تُسَاوِي 100 (مِئَةِ) يُورُو. إِنَّ الْأَضْحِيَّةَ مِنْ أَجْمَلِ وَسَائِلِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ وَسِيلَةٌ لِلتَّرَابُطِ وَالتَّقَارُبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا الْمُظْلَمِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ، فَلَا تَنْسُوا تَسْلِيمَ أَضْحَايِكُمْ. أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُوفِّقَنَا لِعِبَادَتِهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلِاسْتِعْدَادِ لِلرَّحْلَةِ الْأَخِيرَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى كَمَا نَسْتَعِدُّ لِأَسْفَارِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَأَنْ يَجْعَلَ لَنَا رَحْمَةً لِعِبَادِهِ الْمُظْلَمِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، آمِينَ.

لَا شَكَّ أَنَّ لِسَفَرٍ وَالسِّيَاحَةِ فَوَائِدَ. فَلَا يَطْلُوعُ عَلَى أَمَاكِنَ جَدِيدَةٍ مِنَ الْعَالَمِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى أَنَاسٍ وَتَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوسِّعَ مِنْ أَفْقِ الْإِنْسَانِ وَيُكْسِبَهُ تَجَارِبَ تُثْرِي ذَهْنَهُ وَعَقْلِيَّتَهُ. كَمَا أَنَّ أَخْذَ الْإِجَارَةِ بَعْدَ عَامٍ طَوِيلٍ مِنَ الْكُدِّ وَالْعَمَلِ يُعِينُنَا عَلَى الْإِسْتِرَاحَةِ وَاسْتِعَادَةِ الطَّاقَةِ مِنْ جَدِيدٍ. وَإِنَّ زِيَارَةَ الْأَقَارِبِ فِي الْبِلَادِ الْبُعِيدَةِ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ تُقَوِّي الرُّوَابِطَ الَّتِي بَيْنَنَا وَتُقَرِّبُنَا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ نَشَاهِدُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى حِينَمَا نَسِيرُ فِي الْأَرْضِ. فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَى جَانِبِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، آيَاتٌ أُخْرَى فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ط أَوَّلَمْ يَكْفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ أُخْرَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾². فَكَمَا أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ مَصْدَرٌ لِلْإِيمَانِ، فَكَذَلِكَ آيَاتُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ مَنبَعٌ إِيْمَانٍ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

بِمُنَاسِبَةِ الْإِجَارَةِ الصَّيْفِيَّةِ يَتَجَهَّزُ الْكَثِيرُ مِنَّا لِسَفَرٍ. وَبَيْنَمَا يُرِيدُ الْبَعْضُ أَنْ يُزِيلَ شَوْقَهُ إِلَى وَطَنِهِ يَنْوِي الْبَعْضُ الْآخَرَ اِكْتِشَافَ بِلَادٍ جَدِيدَةٍ لَمْ يَرَهَا مِنْ قَبْلُ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ لَا بُدَّ أَنْ نَلْتَزِمَ فِي إِجَارَتِنَا بِالنَّهْجِ الْإِسْلَامِيِّ، وَبِبَدْءِ ذَلِكَ مَعَ نِيَّةِ السَّفَرِ وَتَرْتِيبِ الرَّحْلَةِ. فَقَبْلَ أَنْ نُحَدِّدَ الْمَكَانَ الَّذِي سَنَقْصِدُهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَتَأَكَّدَ مِنْ أُمُورٍ مِثْلَ مَدَى إِمْكَانِيَّةِ الْقِيَامِ بِالْوَأْجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ هُنَاكَ، وَتَوْفُرِ الطَّعَامِ الْحَلَالِ، وَإِمْكَانِيَّةِ تَجَنُّبِ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. فَإِنَّ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ شَخْصِيَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ نَبْعَدَ عَنِ الْأَمَاكِنِ وَالْأَوْسَاطِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُؤْذِيَ قُلُوبَنَا. فَلِأَمَاكِنَ الَّتِي لَا يُرَاعَى فِيهَا سِتْرُ الْعَوْرَةِ مِثْلًا مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُؤْفِقَ الْإِنْسَانَ فِي زِنَا الْعَيْنِ. كَذَلِكَ الْأَمَاكِنَ الَّتِي تَحْمِلُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْإِسْرَافِ وَالِاسْتِهْلَاكِ الْعَشْوَائِيِّ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُضْعِفَ مَعْنَوِيَّتَهُ.

³ سنن الترمذي، كتاب البر، ٥٥، الحديث رقم (١٩٨٧)

⁴ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، ٣